الجماعات الفنية العراقية المعاصرة

غالباً ما تشيع الرؤية المتقدمة في استبصاراتها، والمستبقة لحال الظرف المرهون باتجاه ما. والجميع لا يغفل دور المبدع في الانسحار بحال تلك الرؤية، فيكون المنجز اقدر على المواجهة بتنوع وجدية وثبات. وبذات الاتجاه وجد الابداع التشكيلي في العراق نفسه قد اشر مبكراً منطلقات دفعت المهتمين بدراسة هذا النشاط وتأريخه، الى تأسيس وجهات نظر وفرضيات متعددة، حول خصوصية تجربة الفنان التشكيلي العراقي، وبدايات الابتكار الفني لديه، وموضوعاته، والتأثيرات الاخرى التي وجدت طريقها اليه.

تشكلت الجماعات الفنية (الرواد . بغداد للفن الحديث . الانطباعيين) اذا بدأت حينذاك القيمة الفنية تفرض نفسها، لا القيمة الشكلية المجردة للأفكار.

تأتي ظاهرة (الجماعة الفنية) التي تبلورت كاتجاه له كيانه في مسيرة الفن التشكيلي في العراق كـ (ضرورة تاريخية اقتضاها نضوج الوعي الفني لدى الفنان العراقي الى الحد الذي اخذ فيه يتحمس للممارسة الفنية، بصورة غير فردية. كما كانت ضرورة اجتماعية وفكرية افتضاها نمو الجمهور الحديث في مطلع نشأته. اذ هو يستكمل جميع ابعاد وجوده الانساني). الا ان الذي يبقى، هو معرفة الدوافع والاسباب التي كانت وراء تأسيس الجماعات الفنية.

اسباب ظهور الجماعات الفنية:

1- ان انبثاق الجماعة الفنية جاء كرد فعل لوعي الفنان الانساني والاجتماعي.

2- الاهتمام بالعالم، وضرورة توظيف ذلك من خلال العمل الفني ذاته. وان هذا الاهتمام والتوظيف جاء على مستويات مختلفة بحسب توجه الفنان ومرجعياته وطبيعة تفكيره.

3- جماعة الانطباعيين العراقيين التي اسسها الفنان حافظ الدروبي ليضع دافعاً اخر يعتقد فيه انه سبب في تأسيس هذه الجماعة، فهو يعتقد ان ظهورها جاء في غمرة حماس من قبل جيل الفنانين المدرسين، من اجل الزعامة الفنية.. فكانت محاولة للتعبير عن (الهوية التعليمية) في الفن، وكأنها الصيغة النهائية لمدرسة فكرية مثالية.

4- ان العمل الفني هو ربط الاواصر ما بين الفنان وعالمه ربطا محكماً، يتسم بالشمولية والنزعة التجريبية معاً .

5- حدث انفجار سيكولوجي اجتماعي في العراق، عبر الاحداث السياسية ما بين عامي 1947- 1948، كان مدعاة لتفاقم الوعي الجماعي في العمل الفني، كضرورة من ضرورات اهتمام الانسان بالعالم عبر الفكر الفني نفسه.

6- جماعة الرواد كانت تستهدف نقل التجربة الاوربية الى بيئتهم المحلية، متأثرين بالمثل الذي ضربه الرسامون البولونيون الذين رسموا في العراق.

7- ضرورة التعبير عن (الهوية الحضارية) في الفن العراقي، مسترشداً بما حققه يحيى الواسطي في القرن الثالث عشر الميلادي، وبما يعكسه الاهتمام بالآثار العراقية القديمة السومرية والبابلية والآشورية من اهتمامات ثقافية وقومية.

8- مهمات الجماعة الفنية، واساسيات عملها النظري والتطبيقي الاجرائي، ومدى فاعلية تأثيرها في النشاط التشكيلي العام، يأخذ مداه من خلال مرجعيات الفنان واجتهاداته الفردية واقتراحاته التي يضعها للتعبير عن قيمة المنجز الفكرية والحضارية.

الجماعات الفنية الاولى:

اولاً: مرسم حر

ربما كانت مبادرة الفنان حافظ الدروبي عام 1942 في تأسيس مرسم حر ببغداد الذي شغل في حينه قاعة اليأس بحر لتعليم الرقص، قرب حدائق الملك غازي (حديقة الامة) حالياً في منطقة الباب الشرقي ببغداد. بمساعدة الفنان جواد سليم، وغايتهما اللقاء الفني وتعليم فن الرسم. واستمرت هذه التجربة مدة ثلاثة شهور. اول بادرة تشير الى ظهور فكرة الجماعة الفنية. حيث تبنى هذا الفنان فكرة تأسيس محترف فني يلتقي فيه نخبة من الفنانين. الا ان هذه المحاولة لم تدم الا شهوراً قليلة، لتنتهي بالفشل اذ بدت كتقليد لم تتوفر له قابلية الديمومة والتواجد. الا انه على الرغم من ذلك، لا يمكن التقليل من اهمية المبادرة كنموذج لطموح يحفز العمل تحت روح جماعية. ومهما يكن من امر فقد التفت الفنان العراقي، منذ البداية الى العوامل الاساسية، التي يعتقد بانها تساعد على خلق سمة جديدة لحركة فنية مؤثرة، محاولاً عبر العديد من المبادرات تقديم دلالة لا تنفصل عن العمل التاريخي، بل تعمل على تعميق صلته بالواقع الاجتماعي والثقافي والحضاري، وتفعيل دوره في المحيط الانساني. لذلك نرى في خمسينات القرن الفائت، ظهور ثلاث جماعات فنية فما كان منها سوى الاسم فقط ومن بينها: جماعة خريجي المعهد الفني 1956. وجماعة فناني كركوك 1958.تزعّم كل منها فنان تميز باسلوبه الفني وثقافته وشخصيته الانسانية.

ثانياً: جماعة المجددين – جماعة المعاصرين – جماعة حواء وآدم – جماعة المدرسة العراقية الحديثة – جماعة 14 تموز – جماعة الزاوية – جماعة البداية – جماعة الحدث القائم – جماعة الشباب – جماعة تموز – جماعة البصرة – جماعة 13 تموز – جماعة الفن المعاصر

في فترة الستينات تضاعف عدد الجماعات الفنية، وتضاعف معه الفعل الفني الذي شخص بشكل جلي اتساع البحث الاجرائي وثوريته، ما اثر بالتالي على ثراء النتاج الفني عامة.. فكانت بحق مرحلة تحول دقيق في استلهام قضايا الظرف، وانبثاق شامل لقدرة الفنان على استيعاب مجالات التقنية والاستعارة والصياغة.. تلك الروافد التي اغنت كثيراً ايقاعات اللوحة ومواضيعها.. هذا الانبعاث في الرؤية الفنية كان حتماً محاولة بحث عن الصلة التي تمكن الفنان من مفرداته المفترضة، باسلوب يحتوي الظرف الجديد ويتخطاه.. وبموازاة هذا الانبعاث ظهرت عشرات الجماعات الفنية التي تباينت في النشاط والتوجه الفكري، فمنها من كانت فاعلة في التقديم والمعالجة، ومنها من كانت قد انشقت عن جماعة اخرى، ومنها من كانت ليس لها سوى الاطار الخارجي والتسمية.

ثالثاً: جماعة الاكاديميين – تجمع البعد الواحد – جماعة الواقعية الحديثة – جماعة نينوى للفن الحديث – جماعة الظل – جماعة فناني السليمانية – جماعة باء – جماعة النجف – جماعة الدائرة – جماعة السبعين – جماعة المثلث

مع مطلع السبعينات كان للجماعة الفنية بادرة تستلهم المفاهيم، وتضع مراحل لكيان العمل المبدع عبر معايير واسس تحتفظ بقيمتها من خلال الانشداد الى التراث الحضاري، وتحقيق الروح العراقية في العمل، وتفعيل مستوى الوعي الجماهيري. اما حقيقة الرؤية الفنية نفسها كطرح صياغي معين وكتأمل فلسفي، لم يكن قد ظهر الى حيز الوجود. فظهور الجماعة الفنية تحدد بإمكانية الفنان في البحث عن التقنية، وانها رغبة عارضة مارسها الفنان، وبالتالي فأنها، لم تكن سوى مجموعة من الفنانين لا تنضوي تحت رؤية فنية موحدة.

وحول تضاعف عدد الجماعات الفنية لا يعني سوى الاهتمام بالاطار الخارجي لها، كمجال لإنجاز المعرض الفني، لان الفنان لم يكن يستطيع لوحده انجاز ذلك. اما الالتزام النظري سواء كان التزاماً فكرياً ام تقنياً، لم تكن له اية اهمية بالمرة، وبالتالي نفهم من كل ذلك ان الجماعة الفنية كانت مناسبة عابرة لإشباع رغبات بعض الرسامين لحب الظهور، وهكذا سرعان ما كانت تختفي بعد ان تؤدي وظيفتها هذه، ويدب الخلاف بين صفوف روادها الا ما ندر.

تأسست جماعة الرواد بزعامة الفنان فائق حسن، والتي كانت قبل ذلك وبالتحديد منذ عام1939 تعقد اجتماعاتها في مرسم الفنان فائق.. والتي كانت هذه الاجتماعات تشتمل على سماع الموسيقى وعلى سفرات الى ضواحي بغداد لرسم المنظر الطبيعي. وقد كانت هذه الجماعة تضم نخبة من الرسامين محترفين وهواة منهم الطبيب والمهندس والمدرس. وفي عام 1950 اقترح السيد يوسف عبد القادر اسم الرواد لهذه الجماعة، تحريفاً لمصطلح (S.P) وهما الحرفان الاولان لعبارة (الجماعة البدائية) باللغة الانكليزية، ولم تطرح الرواد اي بيان ولكنها كانت تستهدف الاسلوب الحديث عموماً في رسم المنظر الطبيعي.